ثالثاً : الاستشراف المستقبلى لحركة التعليم فى الوطن العربى

ان أسوأ صورة للمستقبل هى تلك الصورة التى تنتج عن الموقف السلبى من محاولة صنع المستقبل ، أو ترك الأمور وشأنها والتخلى عن ممارسة الحرية أو الارادة الانسانية • وبالرغم من أن السلبية الكاملة لا تعنى توقف الأحداث الا أنها تعنى تحكم الأحداث على رقاب النـاس ومصـائرهم ، الشىء الذى يفرض على المجتمعات تغيرات ذات تكلفـة اجتماعية باهظة •

لذا فان الاستشراف العلمى للمسـتقبل يصبح ضرورة اجتماعية تحتمها الحاجة الى معرفة النتائج البعيدة المدى والمترتبة على ما نتخذه الآن من قرارات وما نمارسـه من عادات وما ننشـئه من علاقات • فالاستشراف — كما هو معروف — هو مجهود علمى منظم يقوم على فهم المـاضى والحاضر وتأثير العـوامل التى تشـكل معالمهما معا • وهو وان كان لا يقدم تنبؤات أو تفاصيل مؤكدة الا أنه يفيد فى الاشارة الى بعض بدائل المستقبل والسمات الأساسية لها وارتباطها بالأحداث والطموحات البشرية ، كما أنه يفيد فى الاشارة الى البديل الأفضـل أو نوعية وحجم المتغيرات الأسـاسية اللازمة لتشـكيل المجتمع على النحو المنشـود •

لذا فان غياب الاستشراف العلمى فى معرفة أبعاد المستقبل العربى يجعل معالجة قضايا المصير العربى تدور فى فلك من التجريد والأمانى والخيال وتقصر عن حسم الخيارات التاريخية المطروحة فى السـاحة العربية ، فصورة المستقبل فى الوطن العربى هى فى نهاية الأمر ثمرة ما نفعل وما لا نفعل منذ الآن • فالقرارات التى نتخذها اليوم تتفاعل مع عمليات التغيير فى السلوك والقيم الاجتماعية وتحدث مفعولهـا التراكمى فى تحديد شكل المستقبل ، كما أن هذا الشكل يتحدد من جانب

آخر عن طريق الروابط المتعددة التى تصل بين المجتمع العربى والمجتمعات الدوليـــة الأخرى •

اذن فالاستشراف المستقبلى هو جهد ضرورى لعملية التغير الاجتماعى فى مضمونها ومؤسساتها ، ولكن « اذا كان الاقتصاد تابعاً والثقافة تتراوح بين السلفية والانبهارية » كمـــا يقول عدنان الأمين « فمن أين وكيف يمكن تغيير المؤسســـات التربوية وفى أيـــة وجهة ؟ وأنه اذا كانت العلاقات المحلية عشائرية والدولة مشروع معقد والتخطيط للمستقبل يقوم على العقلنة والمكننة والأتمتة : فمن أين يدخل المستقبل الى المجتمع ومن أين يدخل المجتمع فى المستقبل »[٣٣] ؟ • لذا فانه يصبح من الضرورى تحليل التاريخ وفهمه ورسم قوانينه ، وأنه فقط عندما يتم ذلك يصبـــح من الممكن معرفة من أين وكيف نتدخل ، أو نستطيع أن نحـــدد هامش التدخل •

* * *

● الخلفية التاريخية للتعليم :

لقد عرف العرب منذ الجاهلية الكتاتيب ودور العلم حيث كانوا يعدون النشء لكل ما هو ضرورى فكانوا يعلمونهم المطالعة والحســـاب وقواعد اللغة والهندسة والفلك والطب وفن العمارة والنقش والآداب والتاريخ[٣٤] ، وقد كان التعليم افراديا حيث يخصص المعلم لكل تلميذ من تلاميذه جزءا من وقته وحصة من عنايته ، ومن بين دور العلم كانت هناك الأندية والأسواق والمجتمعات التى تشبه الى حد كبير مجالس الآداب والمجامع العلمية الحديثة ، فنادى قريش مثلا كان يعقد لمناشدة الأشعار ومبادلة الأخبار والبحث فى الشئون العامة ، وأسواق عكاظ

---

(٣٣) عدنان الأمين ، « الاتجاهات المستقبلية فى الفكر التـــربوى العربى » فى مجلة الفكر العربى العدد العاشر ، السنة الأولى ، مارس/ابريل ١٩٧٩ (ص ٢٥٨) .

(٣٤) عبد الله عبد الدائم ، التربية عبر التاريخ (الطبعة الثانية) ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٧٥ (ص ١٣٦) .

ومجنة وذى المجاز كانت أماكن للبيع والشراء بالاضافة الى كونها أماكن للتحكيم والمقاضاة بين الشعراء والخطباء ، ودار الندوة ودار كعب بن لؤى التى كانت أماكن للمذاكرة والمشاورة فى أمور الحرب وطلب المثوبة والموعظة والفصل فى الدعاوى والمنازعات .

وقد كان المجتمع العربى فى الجاهلية مجتمعا قبليا يقوم على التعصب القبلى وعلى التناقض والصراع بين القبائل ، ولم تكن مصالح الأفراد وشخصياتهم بارزة أو طاغية الا فى اطار مصلحة القبلية وعصبيتها ، ولم تكن هناك حرية فردية الا فى اطار البداوة والقبلية فالحرية لم تصدر عن مبدأ أو فكرة عامة أو عن تعريف لحقوق الانسان ، فقد سيطرت الـ « أنا » والنفعية على شخصية الانسان العربى فى الجاهلية فهو لا يرعوى من الدخول فى التخبط والصراع الدامى من أجل مغنم مادى أو ثروة عارضة[٣٥] ، فالفرد حر الى أبعد الحدود طالما كان ذلك فى اطار مصلحة القبلية وأهدافها[٣٦] . ففلسفة التربية العربية فى الجاهلية قامت على تدعيم حرية الفرد فى اطار الجماعة القبلية كما قامت على تزاوج الفكر والعمل فقد كانت التربية عملية تتم فى المنزل وفى المجتمع « القبيلة » ويقوم بها الكبار وتهدف الى تطبيع الصغار بالطابع الاجتماعى واكسابهم المهارات المختلفة الموجودة لدى الكبار .

وبدخول العرب فى الاسلام انتشر التعليم بفضل الدعوة الى طلب المعلم من المهد الى اللحد وفى دانى الأرض وأقاصى البلاد ، فقد كانت دار الأرقم بن أبى الأرقم أول مؤسسة تعليمية فى الاسلام فى مكة ، وبعدها انتقل التعليم الى المساجد بعد الهجرة الى المدينة ، ومن ثم أخذ العلم من

---

(٣٥) أحمد خليل ، قضايا معاصرة : مشكلات المجتمع الاسلامى ، دبى ، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٢ (ص ٢٣) .

(٣٦) عبد الغنى النورى وعبد الغنى عبود ، نحو فلسفة عربية للتربية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٩ (ص ٢٦٣) .

اليونان والفرس والروم ، وانتشر التعليم فى الكثير من المؤسسات الاجتماعية كالصالونات الأدبية ومنازل العلماء وحوانيت الوراقين والقصور والكتاتيب والمساجد ودور القضاء ومجالس الحكام والمكتبات ودور العلم والحكمة • وقد استمر التعليم بنفس الهوية المختلطة التى كان عليها فى العصور الجاهلية حيث كان يمارس فى أماكن العمل والنشاطات الاجتماعية والسياسية الا أنه اكتسب روحا جديدة ، هى روح الاسلام التى تدعو الى التوحيد : وحدة الله ووحدة الكون ووحدة الانسان مع الكثرة والتعدد فى عناصر الكون ومظاهر الطبيعة والقبائل والشعوب الانسانية •

لقد كانت الفكرة الاسلامية جديدة على المجتمع العربى فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين ولذلك كانت الحاجة ماسة الى الاعداد العقائدى فركزت المناهج التعليمية على النواحى الدينية كما ركزت على ربط العلم بالعمل عن طريق القدوة الحسنة التى اتبعها الرسول الكريم والصحابة الأجلاء والتزموا بها فى تربية النشء وجموع المسلمين وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة والعبادات • ولكن بعد انفتاح المجتمع الاسلامى على الحضارات الأخرى وانتشار حركة الترجمة ونقل العلوم من اليونان ففارس والروم تعددت المناهج التعليمية وتنوعت موادها وأساليبها وقويت صلتها بالثقافة المادية فغذت الجوانب الاقتصادية والعسكرية لتلك الثقافة ، فقد ازدهرت التجارة وتقدمت الصناعة والتكنولوجيا فتجلت على النطاق المدنى فى جوانب تخطيط المدن وانشاء أقنية الرى واقامة طواحين الماء وصناعات النسيج والورق والسكر ، كما تجلت على النطاق الحربى فى صناعة السفن والفولاذ والسيوف وفى صنع المدافع وتطوير مسحوق البارود • فصناعة الورق مثلا انتشرت فى العالم الاسلامى بعد منتصف القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) ولم تدخل أوروبا الا فى حوالى القرن الثالث عشر الميلادى وكذلك الحال بالنسبة لصناعة السكر وصناعة السيوف الفولاذية « الدمشقية »

والصناعات المعدنية والكيماوية التى لم تعرفها أوروبا بشكل منتظم الا فى منتصف القرن السادس عشر[٣٧] .

لقد اتسم العصر الذهبى للحضارة الاسلامية فى بغداد والأندلس بمستوى تكنولوجى متقدم كان للاسلام فيه — دون شك — الفضل فى امداد القوة الدافعة للحركة والنشاط ، وقد امتد هذا الابداع التكنولوجى عبر قرون ازدهار الحضارة العربية الاسلامية حتى بداية القرن السادس عشر الميلادى حيث توقفت حركة العلم والتكنولوجيا بعد النضج العثمانى وزوال الحكومة العربية المستقلة والجيش العربى القوى .

اذن ، فحيثما كانت الدولة العربية مستقرة وقوية من الناحية العسكرية والاقتصادية . ازدهر العلم والتكنولوجيا فى العواصم العربية ، والواقع أن التفوق التكنولوجى العربى كان مستمرا ومسيطرا دون منازع طوال العصور الوسطى وحتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى[٣٨] . وقد كانت فلسفة التربية الاسلامية المسيطرة على تلك الفترة هى فلسفة وسطية تجمع بين الفردية والجماعية وبين الدنيوية والأخروية فهى تدعو الانسان لأن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا كما يعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، وهى فلسفة تحترم الفرد لذاته وترفعه الى أعلى الدرجات عن طريق التقوى وتعتبره مسئولا عن الجماعة مثل مسئولية الجماعة كلها عنه ، فالفرد حر وأمنه وكرامته مصانة من قبل المجتمع أو الدولة ، وهو يتحرر من داخل نفسه قبل أن يتحرر من قبل القوانين التى تفرض عليه من الخارج . فتحرير الفرد من الداخل واطلاق طاقاته المبدعة تجعله قادرا على خدمة نفسه وعلى التمييز بين الخير والشر وعلى المساهمة النشطة فى حياة مجتمعه وازدهاره .

لقد أدت موجات الحروب الصليبية والغزوات المغولية الى تمزيق

---

(٣٧) أحمد يوسف الحسن . « نماذج من الابداع التكنولوجى فى الحضارة العربية والعوامل التى كانت وراء الابداع » **المستقبل العربى العدد ٣٧ ، مارس ١٩٨٢** (ص ٧٩) .

(٣٨) المرجع السابق ص ٧٩ .

الاتصال الجغرافى والسياسى بين المشرق والمغرب العربيين وعزلت الأول عن دوره كهمزة وصل تجارية وحضارية بين الغرب والشرق[٣٩] كما أدت عوامل أخرى الى التزمت الدينى والجمود الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، فالسياسيات الاقتصادية للدولة العثمانية مثلا جعلت الاقتصاد العثمانى تابعا للاقتصد الأوروبى مما أدى الى اختفاء مبادىء الاعتماد على الذات والاستقلال والحرية والتى تعتبر شروطا أساسية للابداع والابتكار • ويرجع البعض حالة الجمود والتبعية الى برامج التحديث التى اتبعها محمد على وأتباعه الذين ظنوا أن استيراد الآلات الحديثة هى أساس التنمية والتحديث ، بينما يرجعها البعض الآخر الى الخليفة المستعصم عندما طلب من علماء الفقه فى المدرسة المستنصرية أن يوقفوا تدريس أى فكر بخلاف أقوال الأئمة الأربعة ، ومنذ ذلك الوقت كما يقول هويدى « تمت عملية الحفظ والتعليب وتحول أغلب العلماء الى مجرد مستقبليين وملقنين ومقلدين ، وبدأ العقل العربى اجازته الطويلة ، ولولا تلك الومضات الباهرة التى مزق بها بعض فقهائنا حجب الظلام الاجبارى التى فرضت على العقل العربى لكان الحال الآن أسوأ بكثير »[٤٠] .

فعلى مدى القرون الثلاثة التى سادت فيها الخلافة العثمانية تردت فلسفة التربية وأصبح الزهد هو مطلب الحياة وطريقها ، وتقلص التعليم وانكمشت مناهجه ، فاختفت الرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفية من نظام التعليم واقتصرت المناهج على علوم المقاصد « الدين ، والحديث والتفسير والفقه » وعلوم الوسائل « اللغة والحساب والمنطق »[٤١] وأصبح التعليم منسلخا عن واقع الحياة ومحصورا فى أفق النصوص

---

(٣٩) أنور عبد الملك « تنمية أم نهضة حضارية » **فى دراسات فى التنمية والتكامل الاقتصادى العربى** (ص ٣٠) .

(٤٠) فهمى هويدى ، القرآن والسلطان (ص ٤٣) .

(٤١) عبد الغنى النورى وعبد الغنى عبود ، نحو فلسفة عربية للتربية (ص ٢٨٧) .

المكتوبة ولم يخرج عن اطار المذاهب والفرق الاسلامية المعروفة وقد كانت هـذه هى الفترة التى شهدت بداية الازدواجية فى التعليم حيث كانت أولى المدارس التى أنشئت فى تلك الفتـرة من نوع المدارس العسـكرية بالدرجة الأولى ، وقد شهدت تلك الفترة أيضا تجـربة محمـد على فى انشاء نظام تعليمى حديث جنبا الى جنب مع النظـام التعليمى القـديم فى الأزهر والمسـاجد والكتاتيب ، وقد قامت تلك التجربة على فرضية خاطئة مؤداها أن النهضة العلمية يمكن أن تتحقق على يد قلة تتلقى التعليم الحديث لتدير به مرافق البلاد بينما تبقى الكثرة الغالبة على الأمية أو التعليم القديم • وبالتالى فقد كان هـدف التعليم الحديث مرتبطا فى الأساس اما بالجيش أو دواوين الحكومة ولكنه لم يرتبط بالهدف الأكبر الذى يتعلق بالانتاجية والاقتصاد العام والتشـكيل الاجتماعى والأيديولوجى لغالبية الأفراد حتى يستطيعوا تقبل التغيير والمساهمة فى دفع سيرته •

وبعد زوال الامبراطورية العثمانية وقعت البلاد العربية فريسـة للغزو الأجنبى ولسيطرة رأس المـال ، وذلك من أوائل القرن التاسع عشر وحتى الى ما بعد الحرب العالمية الثانية[٤٢] حيث خضع كل بلد عربى لتأثير الثقافات الغربية عن طريق المدارس والارساليات وعن طـريق البعثات الثقافية التى كانت توفدها الدول العـربية الى دول الغرب ، وقد كان الدافع وراء السيطرة الاستعمارية هو تحطيم مقومات المجتمع العربى والشخصية العربية لضمان استمرار تبعيتها للاستعمار والحكم الأجنبى ، وبالتالى أصبحت مقاليد التوجيه فى مجالات التربية والاعلام بالاضافة الى السياسة والاقتصاد والحكم بيد المستعمر الذى أخذ يخطط منذ الوهلة الأولى لانشـاء أجيال منقطعة الصلة بماضيها ومرتبطة فى حاضرها ومستقبلها بثقافة الغرب وحضارته ، وبالتالى اكتمل تحريف بنية العقل العربى وبنية الشخصية العربية الاسلامية ، فالأولى أصيبت

---

(٤٢) المرجع السابق ص ٢٨٢ .

عن طريق تحريف الثقافة الاسلامية واغلاق باب الاجتهاد والثانية أصيبت عن طريق الانحراف الدينى وشيوع البدع والخرافات[٤٣] .

اذا فان التعليم الحديث فى الدول النامية عامة وفى البلاد العربية خاصة نما وترعرع فى ظل استقلالية نسبية عن الثقافة الوطنية وعن علاقات الانتاج المحلية ، ولم يقتصر هـذا النمط على فترة السـيطرة الاستعمارية للبلاد العربية وانما تفاقم وازداد حتى بعد نيل الدول العربية لاستقلالها بعد الحرب العالمية الثانية وحتى السبعينات من هذا القرن ، ويرى البعض أن الدول العربية تسير عمليا فى تراجع الـى الخلف فى مسألة التعليم رغم التقدم النسبى الذى أحرزته فى الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية وبالرغم من المؤتمرات التربوية المتعددة لوزراء التربية والوزراء المسئولين عن التخطيط الاقتصادى مما يدل على أن الأهداف التربوية المعلنة لا تتمتع بالمصداقية وانما تتصف بالتناقض والهلامية كما تبدو فى معظمها فوقية ، وبالتالى فقد أتت مناهج التعليم وطرائقه غير مرتبطة بسوق العمل وبمتطلبات العصر والمستقبل ، فهـى لا تعد لعالم حديث سريع التغير بل تساعد فقط فى نقل تكنولوجيا متقدمة من الخارج لتخدم ألوانا معينة من العلم وتعد لوظائف منتقاة فى البنية المهنية[٤٤] . الشىء الذى يؤدى الى بطالة المثقفين والى عجز التعليم عن دفع مسيرة التنمية بل اعاقتها فى كثير من الأحيان .

ويرى البعض أن التعليم فى العـالم العربى حتى الأربعينات وأوائل الخمسينات اهتم أساسا بالمضـمون ولكن تحول بعد ذلك الى اهتمام مفرط بالطريقـة التعليميـة دون اكتـراث بالمـادة التـى تعلم حتى أخذت المدارس بالتدريج تتحول الى معارض مزوقة ومنمقة لأوجه

---

(٤٣) أحمد خليل ، قضايا معاصرة : مشكلات المجتمع الاسـلامى ، دبى ، مكتبة الفلاح ١٩٨٢ (ص ٩) .

(٤٤) عدنان الأمين « الاتجاهات المسـتقبلية فى الفـكر التربوى العربى » (ص ٢٠٦) .

النشاط من صور ولوحات وأشكال ورسوم بيانية[٤٥] وهـذه الطريقة التعليمية ـ فى معظم الأحيان ـ لا تقوم على المناقشة أو النقد بل تلجأ الى التقيد الحرفى الذليل بما فى الكتاب المدرسى ، وبالتالى تفصح عن مظهر من مظاهر العجـز عن ممارسة الديمقراطية والتعود على تلقى الأوامر وتنفيذها دون أى مناقشة والذى يرجع فى الأساس الى ممارسة الحكم الغاشم الذى لا يقبل المعارضة ولا يسمح بقيام أى نوع من القيم الديمقراطية من قبل السلطة السياسية • فالاستبداد السياسى لابد أن ينعكس فى شكل نفاق اجتماعى فى كثير من الأحيان والذى ينعكس بدوره فى الاهتمام بالشكليات دون الجوهر فى مجال التعليم « ولا جدال فى أن اهتمام العلم بعرض لوحات أنيقة على الموجه أو المدير واهتمام هذين الأخيرين برؤيتها ، مع علم الجميع بأن التلاميذ لم يكونوا هم الذين أعدوها ، أو بأنها ليست تعبيرا حقيقيا عن مستوى معرفتهم ، هو شكل من أشكال النفاق الذى ينتشر فى مكاتب الرؤساء •• »[٤٦] .

والتعليم الذى يهتم بالطريقة دون المحتوى وبالشكل والمظهر دون الجوهر هو تعليم يؤدى الى الحفظ والاستظهار الحرفى دون الفهم والتعليل المنطقى وبالتالى فهو يرتبط ارتباطا وثيقا باستراتيجية النفاق وظاهرة الغش فى الامتحانات والتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من التكوين الأخلاقى للكثير من الدارسين • فظاهرة الاستظهار أو الحفظ عن ظهر قلب ترجع لشيوع الخضوع المفرط للسلطة فى المجالات الحيوية للحياة وبالتالى فان الكثير من المربين يرون أنها من أشد آفات التعليم ضررا فى البلاد العربية وأنها « ترجع فى واقع الأمر الى قيم اجتماعية عامة تشيع فيهـا فكرة السلطة التى لا تناقش حيث لا يكون من المستغرب على من اعتاد النظر الى السلطة على أنها معصومة ، أن يتلقى كل تعليم يوجه اليـه على أنه شىء لا يقبل المناقشة »[٤٧] .

---

(٤٥) فؤاد زكريا ، **آراء نقدية فى مشكلات الفكر والثقافة** (ص ١٨٧) .
(٤٦) المرجع السابق (ص١٨٨) .
(٤٧) نفس المرجع (ص ١٨٩) .

وظاهرة الغش فى الامتحانات أصبحت ظاهرة مستفحلة فى نظام التعليم فى الوطن العربى ولا يكاد يحجم عن ممارستها شخص تتاح له الفرصة فى ذلك ، وقد وصفها البعض[٤٨] بأنها أشبه بظاهرة النكتة فى المجتمع العربى والتى تطلق فى أحلك الأوقات ايلاما وهولا لكى تخفف من حدة التوتر النفسى وكى تساعد فى الهرب من مواجهة المواقف التى لا يرضى عنها الأفراد ، فالغش — اذن — أشبه بالهزء والاستهتار بكل الطقوس والشعائر المخيفة وبجو الرعب الذى يحيط بكل امتحان ، وكلما ازدادت اجراءات الرقابة الصارمة فى الامتحانات وغدت قاعات الامتحان أشبه بمعسكرات الاعتقال ، كلما تفنن الطلاب فى البحث عن أساليب للغش أكثر ذكاء وأشد خفاء « وحين تكون الظاهرة متأصلة على هـذا النحو يتعين علينا أن نبحث عن أسبابها فى قيم المجتمع لا فى الوسط التعليمى وحده ، وفى هـذه الحالة لن نجد صعوبة كبيرة فى الربط بين ظاهرة الغش وبين صفات ظلت فى حياتنا العامة تتسم بها منذ مئات السنين ، أهمها ذلك التهاون الأخلاقى الذى يتهرب فيه الناس من مواجهة مسئولياتهم ويلتمسون لقضاء أمورهم أشد الأساليب التواء وانحرافا •• ان الغش فى الامتحان وانتشـار الوساطة والاهمال والرشوة بوصفها عيوبا متوطنة فى حياتنا الاجتماعية ما هى الا أشكال متعددة لظاهرة واحدة • ومن المستحيل أن يتسنى علاج هـذه الظاهرة أو حتى فهمها فى الميـدان التعليمى وحـده ، ما دامت قد تركت تستشرى فى بقية الميـادين »[٤٩] •

* * *

● **مستقبل التعليم فى الوطن العربى :**

اذن فالنموذج المسيطر للتعليم وأنماطه السـائدة فى مجال المجتمع والاقتصاد توضح أن بنية هـذا التعليم تميل الى التخلف والجمود ،

---

(٤٨) المرجع السابق ص ١٩١ .

(٤٩) نفس المرجع ص ١٩١ — ١٩٢ .

وأن أساليب الاصلاح المستخدمة لا تحاول أن تنال من هـذه البنية بالتبديل والتغيير وانما تحاول فقط أن توسع فى اطارها ومقوماتها ، ومن ثم فان المستقبل يشير الى تحكم تلك الأنماط التعليمية التى تنادى بأن عملية التنمية هى عملية تحديثية تلعب فيها النماذج الفكرية الغربيـة ورأس المـال الأجنبى ، والتقنيات المـادية أو التكنولوجية ـ تلعب فيها دورا حاكما وحاسما ـ ولمـا كان هـذا المستورد لا يتفاعل ـ فى كثير من الأحيان ـ مع تراث الماضى وثقافة المجتمع فان النظام التعليمى يصبح ذا طبيعة مدرسية معزولة عن حضارة العصر وعن ثقافة المجتمع وغير واعية لمـا تحتها من جذور ، ومن هنا تدخل ظاهرة الطلاق بين مخرجات التعليم ومتطلبات المجتمع والتى تتولد عنها مظاهر البطالة المثقفة والبطالة المقنعة والاغتراب النفسى والاجتماعى للموارد البشرية ونزوحها من الأرياف الى المدن ومن الداخل الى خارج الأقطار العربية ؛ ولذا ينفصل تراكم الثروة عن تراكم الثقافة ، عن تراكم السلطة بعكس المجتمعات الحديثة التى تحاول توحيد هـذه التراكمات ، ومن ثم فان علاقة الطلاق بين المجتمع ونظام التعليم لا تجد رباطا مقدسا يصل بين الزوجين الا عن طريق المدخلات والمخرجات غير المرئية والتى تحاول فى الأساس أن تصل بين هـذه التراكمات المتباعدة ومن ثم تفسح المجال واسعا لأنشـطة النفاق الاجتماعى من غش وخداع ومحسوبية ومحاباة ، وتحيز واصطفاء .

لذا فان بنية النظام التعليمى تصبح بنية فوقية نخبوية اصطفائية رغم المحاولات المتعـددة لاحداث ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفـرص التعليمية . كمـا أن التعليم يزيد ارتباطه بتطلعات الأفراد ورغباتهم المتزايدة نحو الاشباع الاستهلاكى الفردى وما يتطلبه ذلك من خدمات محققه لذلك الاشباع ، ولذا فان ناتج التعليم سوف يرتبط أكثر وأكثر بالحصول على المركز الاجتماعى المرموق وباكتساب رموز السلطة المتمثلة فى الدرجات والشهادات والدبلومات .

ان نظام التعليم فى الوطن العربى هو نظام وافد فى الأساس

لم يتجذر بعد فى البنية الثقافية للمجتمع وبالتالى فهو كثيرا ما يفصح عن ثنائية أو تعددية فى الأنواع والمناهج عبر المراحل التعليمية المختلفة مما يقود الى ازدواجية التفكير والقيم الثقافية والحضارية أو يعمق من وجودها فى صفوف المتعلمين الشىء الذى يفرز بدوره مجموعة جديدة من المتناقضات ويضاعف من التمزق والتنازع الفكرى والحضارى والانفصام الثقافى فى الحياة العربية[٥٠] ، ولا شك أن هذا النمط سوف يستمر فى المستقبل باستمرار حياة التنازع الفكرى والحضارى والانفصام الثقافى فى الحياة العربية .

* * *

(٥٠) مركز دراسات الوحدة العربية وجامعة الأمم المتحدة ، صور المستقبل العربى (ص ١٠٣) .